

شيطان يُمْنِي ويعمي

2018-01-23 كريم المحروس

لثورات في التاريخ الشيعي مُشرعون ومُخالفون.. التشريع والمخالفة يحصلان بناء على اجتهاد في النصّ وقراءة في السيرة.. ومثالها: ثورتا المختار وزيد.. فقائلٌ فيهما يقول بعدم الشرعية، وقائلٌ مُشرّع لما للإمام من صِلة تحدّها "التقية" أو تقرير ظاهر!

أحدث الخلاف التاريخي بين المشرعين والمخالفين للثورات الشيعية اتجاهين لا يخلو عصر منهما.. خلاف بطبعه أدى إلى حال من التنافس الشديد في مجالات التغيير الاجتماعي بين الفئة العُمريّة الشبابية على وجه خاص.

الفئة الشبابية تمثل أداة التغيير في المجتمعات الشيعية والأكثر تأثراً بمنافسات اتجاهي تشريع الثورات ومخالفتها، وكان لها النصيب الأكبر في صناعة الثورات المعاصرة أو اعتزالها.. يهمننا في هذا التنافس مستوى التحول في المفاهيم الاجتماعية لأنه عامل استقرار الفئات الاجتماعية.

نعلم أن قرنا من الإرشاد الدؤوب بين الفئة الشبابية السنيّة بزعامة منظمات اتجاهي السلفية والمذاهب الأربعة، استُلتكت في عقدين من الزمن بين حروب وأعمال إرهابية طاحنة لصالح أنظمة فاسدة وقوى دولية مهيمنة.. ما نخشاه أن تُستهلك فئة الشباب الشيعي على ذات الطريقة والمنهج!

فئة الشباب السنيّ المعاصر تعاني من هزيمة راهنة ستغير من مفاهيم الإنتماء. لذلك يتوقع أن تزيد حصة اتجاه "التصوف" بين هذه الفئة.. في الوسط الشيعي المعاصر حدث توازن بزعامة اتجاه "الأصالة" العقدي في مقابل "الثوري" المُشرّع للثورات التاريخية، أدى إلى منع تكرار التجربة السنيّة شيعيا.

بدأ التوازن الحاصل في الوسط الشيعي بين اتجاهي "الثورية" و"الأصالة" العقديّة مانعا من تكرار

التجربة السنيّة على الرغم من غلبة اتجاه "الثورية" قدرة ومكنة وانتشارها، لكن معاطيات الواقع تنبئ عن صعود نجم اتجاه "الأصالة" الذي يمتنع عن تشريع الثورات الشيعية وتعديل رجالها.

على مستوى التحول الإجماعي الناشئ عن الثورات المعاصرة، فلنقرأ السلوك العام في الفئة الشبابية الشيعية!.. تيار ثوري يدعو إلى "الديمقراطية" أو "المشاركة في إدارة شؤون الدولة"، ماذا كان وقع ثورته أو نضاله من أجل قيام الدولة على مفاهيم الفئة الشبابية التي مالت إليه، وهل صلح حالها واعتدل أم فسد وبار؟!

أبسط المفاهيم المتوقع تحولها إلى الأفضل كان مفهوم "النقد والنقد الذاتي" المثالي والرائج في النضال.. فالثورة دماء وآلام وشتات وعوز تكفي لإثارة العقول وتصحيح المفاهيم إلى ما يقرب المثالية.. وبمجرد أن تنجلي الغبرة في ميدان الصراع الثوري؛ يستعد الجميع لجرد الحصص السياسية المستحقة!

وقبل انجلاء غبرة الصراع الثوري وتوضح الرؤية؛ يمر الثوريون بمرحلة التوجس من عدالة الحصص السياسية المستحقة، فيعمدون إلى الأمر بتمرير خديعة كبرى حتى ينالوا بها حصة الأسد. وفي ذلك يستنزفون ما تبقى من الطاقة الشبابية في إشاعة الإفتراء والكذب وقلب الحقائق رأساً على عقب في منافسيهم.

فيتحول الشاب الذي نذر نفسه وضى في سبيل التغيير الثوري إلى آلة تشويه للقيم وتدمير للقواعد الخلقية في مجتمعه، استجابة لمتطلبات مرحلة "كسب الحصص"، لأنها بمثابة استكمال للثورة وتأمين سلامة قاماتها وأهدافها وحفظ وصيانة دمائها وآلامها وشتاتها وعوزها!

في مرحلة "الكسب" تتحول القيم الثورية إلى أنياب حادة للحد من فرص مشاركة الغير في الحصة السياسية.. لذلك نقرأ في التأريخ عن قادة الثورات الشيعية تصريحهم بشرعية قيامهم، فإن تفوقوا ونجحوا بثوراتهم؛ امتنعوا عن تسليم مقاليد السلطة للأئمة صلوات الله عليهم، وانفردوا بها وزهد الأئمة فيها.

من مصلحة الإتجاه الثوري نمو اتجاه "الأصالة" العقدية وسرعة انتشاره بين الشيعة إن قلنا أن تقدير "الثوري" قائم على معادلة "سياسية" ترأسها المصالح.. وجود اتجاه "الأصالة" يحفظ للشيعة توازنهم، فإن أخفق "الثوري" أو ضعف في جهة من جهاته؛ شجر "الأصيل" الفراغ وساد فيه!.. لكن السياسة كما نعلم "عماء أعلاه هواء وأسفله هواء"!

الغرور عند حيازة السلطنة والقدرة والمكنة لا يبقى لأحد قيما مستقرة.. والسياسة شيطان فاعل يُمنِّي ويعمي فيُملِي. لذلك يرجح بقاء اتجاه "الأصالة" العقدية ضحية كل التفاعلات الشيعية. ومن يظن أن إمكان تحقق مصالحه بين الاتجاهين محتمل فليتوسط عند الشيطان يدعوه إلى "الحوار" بلا مقابل!

.....

* الآراء الواردة لا تعبر بالضرورة عن رأي شبكة النبا المعلوماتية